

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مديرية الشؤون الإسلامية

الدرر والكنز

نص المحاضرات التي أقيمت في التفسير والإعجاز بحضرة
صاحب السيادة والمهابة الملك المعظم أمير المؤمنين مولانا
أحمد بن محمد بن نصر الله وأيده في شهر رمضان المبارك
عام 1395 هـ

تصوير: أحمد عطوف

https://t.me/Abdellah_Guennoun

4 رمضان المبارك 1395

الدّرس الأول

موضوعه :

مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

” مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ
مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ... ”

الحديث

اللقاء :

العلامة الأستاذ عبد الله كنون
أمين رابطة العلماء بالمغرب



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .
أما بعد : فإن اصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وافضل الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة .

وما شرب الايمان الا فؤاد من بأخبار خير الخلق قد ملأ الاذننا
* * *
وهل يترك الانسان عذرا وحجة اذا قال قلدت النبي محمدا

وروينا بالسند المتصل الى الشيخ الامام الحافظ الحجة ابي عبد
الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى ورضى عنه قال في
كتاب فضائل القرآن : الباب الاول — الحديث الرابع — حدثنا عبد
الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا سعيد المقبري عن ابيه عن ابي
هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
... الحديث .

الدرس الذى نفتتح به هذه الدروس المباركة عن الامر المولوى
اسماه الله يتعلق بالحديث الصحيح الذى ورد فى معجزة القرآن
الباقية والمستمرة على مدى العصور والازمان ، وسنقتصر فى شرحه
على ثلاثة مباحث : المبحث الاول : فى تخريجه وسنده .

والمبحث الثانى : فى تحليل الفاظه وما اشتمل عليه من نكات
بلاغية دقيقة .

والمبحث الثالث : فى معناه الذى هو معجزة عظيمة للناطق به ،
سيدنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد
وعظم .

خرج هذا الحديث الامام البخارى فى موضعين من صحيحه ،
فى كتاب (فضائل القرآن) ، وفى كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة)
واخرجه الامام مسلم فى كتاب (الايمان) واخرجه الامام احمد فى
مسند ابى هريرة وقال الحافظ القسطلانى : اخرجته النسائى فى
تفسير القرآن ، وكتاب فضائل القرآن ، والامام البخارى على عادته
رواه فى كتاب فضائل القرآن عن احد اشيائه ، وفى كتاب الاعتصام
عن شيخ آخر ، والامام مسلم اخرجته عن شيخ ثالث ، والامام احمد
اخرجته عن شيخين . لكن الجميع يتصل بالليث والليث يتصل بسعيد
ابن ابى سعيد المقبرى الذى يرويه عن ابيه عن ابى هريرة . فمدار
هذا الحديث فيما وقفنا عليه من الصحابة على ابى هريرة ، ومن
بعده فى التابعين على ابى سعيد المقبرى وابنه سعيد وكلاهما من
التابعين ومن بعدهما على الامام الليث ثم بعد ذلك تفرع وانتشر على
يد مشايخ البخارى والامام احمد والامام مسلم ، فالبخارى هنا رواه
عن عبد الله بن يوسف التنيسى العدل الثقة الذى هو من اثبت
الناس او اثبت الناس فى الموطأ كما عرفوه ، ورواه فى كتاب الاعتصام
عن عبد العزيز بن عبد الله الاويسى ، والامام مسلم رواه عن قتيبة
ابن سعيد عن الليث أيضا ، واحمد عن يونس وحجاج عن الليث ثم
الليث عند الجميع يرويه عن سعيد بن ابى سعيد وابو سعيد يرويه
عن ابى هريرة .

فهو بهذا من احاديث الافراد او ما يسمى في الاصطلاح بالغريب

وما روى اثنان يسمى بالعزیز وما روى الواحد بالغريب ميز (1)

نظيره في ذلك حديث انما الاعمال بالنيات الذي افتتح به البخارى رحمه الله جامعه الصحيح ، فانه يدور في الصحابة على عمر بن الخطاب وفي التابعين على علقمة الذي روى عن عمر ، وعلى محمد ابن ابراهيم التيمى. التابعى ايضا الذي روى عن علقمة ، وعلى يحيى ابن سعيد الانصارى من اتباع التابعين ايضا الذي رواه عن محمد بن ابراهيم التيمى ثم بعد ذلك تفرع ، رواه عنه سفيان وغيره ، وسفيان رواه عنه الحميدى شيخ البخارى وهكذا ، فهو ايضا غريب .

ومن المعلوم ان الغرابة لا تنافي الصحة فيكون الحديث صحيحا وهو غريب ، غاية الامر ان روايته ثابتة من طريق افراد ، كما ان ما ثبت برواية راويين يسمى عزيزا هذا يسمى غريبا ، وكما يكون الغريب في الصحيح يكون في الحسن ، ناهيك بأن هذا الحديث كما راينا رواه الامام البخارى في موضعين بسندين بالنسبة لشيخيه وكذلك مسلم وكذلك الامام احمد فهو من الصحة بمكان ، بل اجتمعت فيه شروط البخارى التى هى أدق واضبط الشروط ، حيث قال حدثنا عبد الله بن يوسف : حدثنا الليث وناهيك بالليث فهو الامام الليث بن سعد امام اهل مصر ونظير الامام مالك في العلم والفقه بل قال الشافعى فيه : الليث افقه من مالك الا ان قومه ضيعوه . والليث روى عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى ، وسعيد بن ابى سعيد روى عن ابيه وكلاهما من التابعين ومن علماء التابعين الاجلة الثقات ، ناهيك ان سعيد بن ابى سعيد يروى عن ابى هريرة مباشرة ، ويروى عن ابيه ، فالاحاديث التى يرويها عن ابى هريرة مباشرة يرويها مباشرة والاحاديث التى يرويها بواسطة ابيه يرويها بواسطة ابيه ، ولا يدلس ، ولا يقول عن ابى هريرة ، وكفى بذلك ضبطا وتحرييا ،

(1) ماض مبني للمجهول .

والعنفة في الحديث لما وصلت الى سعيد وابيه ليست مما يخل بشرط البخارى لان سعيدا ووالده كلاهما متعصران ولقى احدهما الآخر وكلاهما ايضا معاصر لابي هريرة ولقياه ورويا عنه ، فثبتت المعاصرة واللقي والتحديث وصيغة التحمل بحدثنا التي هي اعلى الصيغ فلم يبق حول هذا الحديث أى شبهة .

اما ابو هريرة وناهيك به فهو الصحابي الجليل ، والصحابة كلهم عدول عندنا معشر اهل السنة ولكن بما أن ابا هريرة رضى الله عنه قد تعرض لبعض الطعن والتجريح فيما سبق وفي العصر الحاضر من بعض خصوم الاسلام واذنابهم ، فاننا نحب أن نقف وقفة قصيرة عند ترجمته رضى الله عنه ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولا سيما في هذا المجلس الحسنى الشريف ، فأبو هريرة رضى الله عنه يسمى عبد الله على القول الصحيح كما روى عنه ابن خزيمة بسند صححه ابن حجر او عبد الرحمان كما رواه ابن اسحاق في المغازى وفي اسمه اقوال عديدة بلغت الى ثلاثين ونيف ، لكن هذا أى عبد الله أصحها ، وعبد الرحمان أشهرها ، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، اما كنيته التي طفت على اسمه حتى تنوسي اسمه فهي ابو هريرة وسببها انه رأى هرة صغيرة في الطريق فحملها في كفه ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فكناه بها ، وقد أسلم سنة سبع للهجرة ، ومات سنة تسع وخمسين من الهجرة عن سن تبلغ ثمانية وسبعين عاما ، وأهم ما اشتهر به ، واعظم مناقبه انه حافظ السنة وراويها الحديث الذي لا يشق له غبار والذي لم يرو احد ما رواه ، فهو احد الكثيرين بل هو الذي يأتى في أول قائمة الكثيرين والمكثرون من المحدثين هم افراد من الصحابة روى كل واحد منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ألف حديث وهم ابو هريرة طبعا ، ويأتى في رأس القائمة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعائشة وابو سعيد الخدرى ، واليهام أشار بعضهم بقوله :

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد جابر أنس
صديقهم وابن عباس كذا ابن عمر

وان كان فيما ذكره هذا الناظم من الصديق نظر لان الصديق رضى
الله عنه لم يرو عنه على الاصح الا مائة واربعون حديثا لانه مات
قبل أن يعنى الناس بالحديث ، ويكثر طلبه ويدون ، وكذلك بقيّة
كبار الصحابة ، فلعل في البيت تحريفا وأصله :

أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

أما أبو هريرة وناهيك به فان مرويه عن النبي صلى الله عليه
وسلم كما قال الحافظ بقي بن مخلد في مسنده : بلغ خمسة آلاف
وثلاثة مائة حديث وأربعة وسبعين حديثا له منها في الصحيحين 609
وفي المسند نيف و 4000 . فهذا الرقم الضخم لم يرو لاحد من الصحابة
بل لم يرو لجمع من الصحابة ولعدد منهم مجتمعين ، وهذا ما أثار
حفيظة الناس عليه عن طريق المنافسة من الذين لا يمكن أن نصفهم
الا بالمنافسة فقط ، وعن طريق البغض والكراهية للإسلام ولما
رواه مما يهدم اقوالهم وآراءهم ومذاهبهم ، فأما في حياته فان بعض
الصحابة كانوا يستكثرون عليه هذه الروايات الكثيرة وهذه الاحاديث
العديدة ، حتى بلغه ذلك فقال كما في الصحيح : ان الناس يزعمون
ان ابا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والله الموعود ، أى والله الموعود بيني وبينهم واني كنت رجلا مسكينا
الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى وان اخوانى
من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق أى البيع والشراء أى
كانوا تجارا ؛ وان اخوانى من الانصار كان يشغلهم القيام على
أموالهم يعنى ضيعاتهم لانهم كانوا فلاحين ، وانى شهدت رسول
الله (ص) ذات يوم ، وقال من ييسط رداءه حتى أقضى مقالتي ثم

يقبضه لن ينسى شيئاً سمعه منى ابداً ، فبسطت برودة كانت علي ثم ضممتها فو الذي بعثه بالحق لم أنس شيئاً سمعته من قبل ، وعائشة رضى الله عنها ، اشتبهت في هاته الاحاديث الذي يرويها ، وقالت : هل حضر الا ما حضرنا وسمع الا ما سمعنا ، فأجابها بجواب لا نحب أن نذكره هنا ، لكنها بعثت ابن اختها عروة ابن الزبير فسأله عن بعض الاحاديث ثم بعد ذلك بمدة بعثت تستفسره عن هذه الاحاديث أيضاً بالواسطة فحدث بها كما حدث بها أول مرة ، فقالت : حفظ ابو هريرة ونسينا وناهيك بها ، بل ان كثيراً من الصحابة احتاجوا اليه والى ما يرويه بعد فشو الاسلام وطلاب العالم والحرص على السنة والرغبة في تدوينها فروي عنه فيما يقول الحاكم ثمانية وعشرون من الصحابة احاديث لم يرووها عن النبي (ص) منهم زيد بن ثابت وناهيك به ومنهم ابي بن كعب ، ومنهم عائشة نفسها ومنهم جابر ومنهم انس ومنهم المسور بن مخرمة ، ومنهم ابو الطفيل ومنهم ابو نضرة . . . وغيرهم فرواية كبار الصحابة عنه رضى الله عنه تشهد له بالحفظ والضبط والثقة ولكن نشأ في صدر الاسلام ناشئة ابتدعت بدعا واتت بمذاهب ينكرها الاسلام ، وكانت الاحاديث التي تروى عن ابي هريرة رضى الله عنه هي التي يرد بها عليهم فلذلك نجد الحافظ ابا بكر بن خزيمة يقول : لا يفيض ابا هريرة ولا يتكلم فيه الا جهمي معطل او قدرى معتزل او خارجي يحمل السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحقن دماء الذميين ولا يرى طاعة امام ولا خليفة لان ما رواه ابو هريرة كله مما يرد به على هؤلاء .

وبعد مضى الزمن وانتهاء هذه الطوائف والفرق خلصت هذه الاقوال لبعض المستشرقين المغرضين مثل جولد زهير وغيره فتعامل على ابي هريرة ووصمه بالوضع وبالكذب وطعن فيما رواه وتلقى هذه الاقوال بعض الكتاب من العرب الذين يسبحون في فلك هؤلاء المستشرقين ولا يكلفون أنفسهم البحث في المصادر التي بين أيديهم والتي منها اخذ المستشرقون ، اخذوا منها الجانب المظلم وتركوا الجانب المضيء ، فكتب في ابي هريرة كتابا كله طعن وتجريح ونحن نقول لهذا الكاتب : انه بعد رواية الصحابة عن ابي هريرة وتركيتهم له قطعت جهيزة قول كل خطيب ، ونشد ما قاله الشاعر :

إذا رضيت عني كسرام عشيرتي فلا زال غضباناً على لئامها
هذا هو أبو هريرة راوى هذا الحديث الذى هو من أجل الأحاديث
التي تبرز معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الكبرى الى جانب معجزاته
الأخرى .

فقوله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي : هذه صيغة
تفيد العموم بتركيبها على المعروف عند النحاة من أن النكرة اذا وقعت
في سياق النفي فهي للعموم فلفظ نبي هنا جاء نكرة بعد نفي فافاد
ان كل واحد من الانبياء أعطى ما مثله آمن عليه البشر وما هنا هي
المفعول الثانى لأعطى ومثله مبتدأ وآمن هو الخبر والجملة صلة
ما أى أعطى الامر الخارق للعادة الذى نعبر عنه بالمعجزة الذى آمن
عليه نفسه أو على مثله البشر الذين شاهدوه وكذلك هي المعجزة
لا يبقى لمن شاهدها معارضة ولا يستطيع معها إلا ان يذعن ويسلم
ويؤمن بالنبى الذى أتى بها إلا من آمن واستكبر كما قال تعالى
« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » وأما في باطنه فانه
لا يمكن أن يستنكر فعالية تلك المعجزة ، ودلالاتها على صدق الرسول
أو النبى الذى أتى بها ، وفي الحديث دليل على أن كل نبى نبى أوتى
معجزة سواء كان رسولا أو لم يكن رسولا ، وهو أمر معقول لأن
أحدا لا يصدقه في قوله أنه نبى مخبر عن الله ولو بالشرع الذى كان
قبله إلا اذا أتى بمعجزة وها هنا أشكال وذلك في قوله صلى الله عليه
وسلم : (ما مثله آمن عليه البشر) تخبط بعض الشراح في ذلك ،
فقالوا : ان ، مثل هنا واقعة موقع الشيء الذى آمن عليه نفسه
البشر ، فمثله بمعنى المعجزة نفسها ، وقال آخرون : ما مثله آمن
عليه البشر ، أى ما كان معجزة لنبي سابق وأوتىها أيضا النبى اللاحق
فكان ان آمن عليه البشر فيما سبق ، وآمن عليه البشر فيما لحق .

وقال آخرون : ما مثله آمن عليه البشر أى ما كان يمكن أن
يكون له تمثيل وتخيل من المدعوين أو غيرهم ولكنه مع ذلك آمن
عليه البشر بعد وقوفهم على انه ليس من قبيل التمثيل والتخييل ،
أما ما أوتيه النبى صلى الله عليه وسلم ، فليس مما يتعرض للتمثيل
ولا للتشبيه لانه وحي يوحى . . . الخ .

وهذا كله ناشئ عن الغفلة عن دقيقة بيانية في هذا التعبير وهي من البلاغة بمكان . لان العرب تعبر بالمثل وتريد ذات الشيء نقول الان : انا على مثل اليقين واقصد بذلك : انا على يقين بـ . وانما نقول على مثل اليقين للتأكيد على اني على بـ اليقين . فالزيادة هنا للتأكيد . وهكذا كما في قوله تعالى : ليس كمثله شيء . فان النحاة قالوا : الكاف هنا زائدة . والتقدير ليس مثله شيء . كما يقول ابن مالك : شبه بكاف وبها البعيل قد يعني وزائدا لنوكيد ورد لكن المنكلمين والمفسرين وعلماء البلاغة لم يقولوا بزيادتها وقالوا انها اصلية هنا والكلام خارج مخرج الكناية والكناية ابلغ من التصريح كما هو معلوم ، فان المقصود انه ليس مثل مثله سبحانه وتعالى شيء . ومثله تعالى لا يوجد وانما فرضناه للحكم عليه ، والمحال يفرض ، فقلنا ليس مثل مثله شيء ، ونفينا ان يكون لهذا المثل المفروض مثل . ونفي ان يكون لهذا المثل المفروض مثل هو نفي لذلك المثل نفسه ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء اللازم ، فصار دليلا على انتفاء الماثلة بطريقه تدريجية مركبة وذلك ابلغ في التعبير وهي المعبر عنها بالكناية . يقال فلان كثير الرماد كناية عن كونه كريما ، لانه يكثر الطبخ ويكثر الاطعام للضيوف فيكثر رماده فيكون حينئذ كريما ، ويقال فلان طويل النجاد ، معناه انه طويل القامة لان الحمالة تكون على قدر قاممة الانسان فلا يحمل الحمالة الطويلة الا اذا كان طويلا ، وهكذا ، وفي التلخيص للقزويني : ومما برى بتقديمه كاللازم لفظ مثل وغير في نحو قولك مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود . فقولك مثلك لا يبخل مما بقوله العرب تنفى البخل عن مثل المخاطب الذي قدر كتبه نظير له على وفق صفاته ، فاذا نفي البخل عن مثله فهو منفي عنه قطعاً ، والمقصود هو ذلك المخاطب لا المثل . بدليل قوله : وغيرك لا يجود . فتعقيبه بعبارة « وغيرك لا يجود » دليل على ان المقصود هو المخاطب . فهذه هي الكناية* الموجودة في قوله صلى الله عليه وسلم : « ما مثله آمن عليه البشر » يعني ما يؤمن البشر على مثله فاحرى عليه ، فلذلك تكون كلمة مثل هنا واقعة موقع المبالغة لانها من باب الكناية . واغرب (الأبي) رحمه الله على تحقيقه وعمق فهمه فقال : « ما مثله آمن عليه البشر » ان هذه الآيات كانت من الآيات البينات

الظواهرات أى ما نعبر عنه الآن بالامور المادية المحسوسة فلما رآها الناس لم ينفعهم الا أن يؤمنوا ولم يسعهم الا أن يتبعوا النبى الذى جاء بها بخلاف القرآن فانه ليس كذلك وهو دليل عقى فلا يؤمن به الا القليل من الناس وكون النبى صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فى آخر الحديث اكثر الانبياء اتباعا انما ذلك كرامة له من عند الله . وهذا غريب منه فانه لا يوافق سياق الحديث ولا يوافق العبارة المستعملة هنا . والنى جاءت على طريق الكناية وقلنا انها أبلغ من التصريح .

فالخلاصة أن قوله صلى الله عليه وسلم : ما من الانبياء نبى اى ان كل الانبياء اوتوا معجزات آمن عليها البشر بالقوة وبالغلبة ، وقد أخذنا هذه القوة ، وهذه الغلبة من قوله : ما مثله آمن عليه البشر فان السياق للباء أو اللام بحيث يقال ما مثله آمن به البشر أو ما مثله آمن له البشر أو لاجله البشر لكنه عدل عن الحرفين معا الى على . فقال : ما مثله آمن عليه البشر ، لان على تفيد الاستعلاء والعلبة فكئنه يقول : آمنوا مرغمين طائعين مضطرين لانهم لم يستطيعوا ان يردوا هذه الآية وهذه المعجزة ، ولا ان يستعصوا عليها ولا ان يتمرّدوا الا من كان ذلك منه عنادا واستكبارا ، كما قال تعالى « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » فلذلك عبر بعلى ولم يعبر باللام ولا بالباء وهى نكتة بيانية أيضا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : (وانما كان الذى اوتيت وحيا أوحاه الله الي) ، معروف ان انما فى العربية أداة حصر ويقال أيضا أداة قصر ، تحصر الصفة فى الموصوف ونحصر الموصوف فى الصفة على ما هو معروف فى القصر من كونه قصرا حقيقيا أو قصرا اضافيا ، قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة ، ثم هو اما قصر افراد أو قصر تعيين أو قصر قلب . . . الخ . فانما على كل حال تفيد القصر ، ومعنى القصر هيا أو الحصر : انى لم اوت الا وحيا أوحاه الله الي ، وهذا يخرج المعجزات الاخرى التى اوتيتها النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا ليس بمراد قطعاً ، وان تمسك به بعض المفرضين الذين صاروا الآن يستخفون من ان يثبتوا للنبى صلى الله عليه وسلم معجزات مثل

معجزات الرسل والتي خانت وحدها دليلا على نبوتهم ، وما تزال
الامم العديدة تؤمن برسالتهم لتلك المعجزات التي أوتوها فنأتى نحن
وننفي عن النبي صلى الله عليه وسلم معجزات من هذا القبيل ،
معجزات مادية أوتيتها وكانت قوية وواضحة وظاهرة وأدلتها من اقطع
وابت واضح الادلة فكيف نسكت عنها ، وكيف تؤمن بمعجزات عيسى
وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولا نؤمن بمعجزة نبينا ،
وهؤلاء الكتاب الذين يستنكفون من أن يثبتوا للنبي صلى الله عليه
وسلم هذه المعجزات بل هم في بعض الاحيان ينكرونها ويستدلون ببعض
الآيات التي كان العرب يطلبون فيها من النبي صلى الله عليه وسلم
أن يريهم آية ، فيقول أن الله قادر على أن ينزل آية يقولون انه قادر
ولكنه لم ينزلها ، وهذا بهتان عظيم .

ان النصارى لا يستنكفون ان يذكروا معجزات عيسى ، واليهود
لا يستنكفون ان يذكروا معجزات موسى ونحن نستنكف أن نذكر هذه
المعجزات ونقتصر على معجزة القرآن لمن يقتصرون عليها ويستدلون
بما قلنا من بعض الآيات التي ظاهرها هذا ، ويأخذون أيضا هذا
الحديث دليلا على ذلك ، وليس لهم فيه دليل كما سنبينه .

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم المادية من أشهر المعجزات
وهي من اثبت المعجزات سندا . على أن معجزات الانبياء السابقين
لم تثبت لنا بدليل منصل قطعا كما قال ابن حزم ، فان سند الاديان
الاخرى كله منقطع ولا يثبت الا بسندنا نحن ، أي بتركية القرآن لها ،
فلولا ان القرآن ذكرها لما أمنا بها لان ما بيدهم من الكتب محرف
ومغير ومرت عليه عصور وقرون ، ثم بعد ذلك استكشف أو كتب
ولم يكن كما كان أولا ، فدليلها هو القرآن ، فالعجب اننا نستدل
بالقرآن عليها ولا نستدل بالقرآن على معجزات نبينا .

ونقتصر بالاشارة الى بعض معجزاته الواضحة الثابتة الظاهرة
تعلينا لمن يسمع لا لمن حضر ، فان من حضر من أهل العلم ولا يحتاجون
الى تعليم . فمن أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الاسراء
والمعراج ولا يستطيع ان ينكر هذا مسلم وهي من اعظم المعجزات

التي لم يوتها نبي ، فان عيسى عليه السلام في اعتقاد النصارى انما رفع الى السماء بعد صلبه . ونبينا صلى الله عليه وسلم كان قد صعد الى السماء وهو حي ورجع واخبر بما حصل له في تلك الرحلة السماوية .

الدليل على الاسراء من القرآن سورة خاصة بهذه المعجزة يقول الله عز وجل فيها : « سبحانه الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » ، والدليل على المعراج قوله تعالى في سورة النجم : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى فأوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى » والعجب ممن ينزل هذه الآيات على جبريل مع ان ما فيها كله يدل على ان المخاطب به بشر ، ولذلك نفى عنه سبحانه وتعالى ان يزبغ بصره وان يطغى واشياء أخرى من الآداب الربانية التي اتاه الله اياها في هذه المعجزة العظيمة فكيف نسكت عنها ؟ ومع ذلك فقد رويت بالاحاديث الصحيحة نفاصيلها وكيفيتها ، ولما رجع وكذبت قرينه وقالوا له صف لنا المسجد الاقصى ، رفعه الله اليه حتى صار يراه عيانا ويصفه لهم ، وانتشرت هذه المعجزة في الملل والنحل وفي الدنيا كلها حتى اقتبس منها الاجانب وحتى دخلت في الاداب العالمية ، وكتب دانتى المشهور كتابه الكوميديا الالهية مقتبسا لها من قصة الاسراء والمعراج لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد فضحه الراهب الاسباني آسين بالاسيوس حيث كتب كتابا اثبت فيه ان الكوميديا الالهية مقتبسة تماما من كتب المسلمين ومن قصة الاسراء والمعراج بالذات وصار لا يكتب الآن احد عن دانتى وعن رائعته كما يسمونها الا ويذكر راي آسين بالاسيوس ولكن هذا الجاحد مع كونه استفاد من الاسلام لم يقر بفضل عليه ولم يتأدب حتى الادب الذي ينبغى ان يكون عند البشر مع رجل عظيم فوضع النبي صلى الله عليه وسلم في الجحيم — قبضه الله واخزاه — . على كل حال هذه الاشياء ينبغى ان نشير لها

وان نعلمها لاولادنا وان نثبتها في كتبنا فان النصارى يثبتون أقل من هذا في كتبهم .

ثانيا : معجزة انشقاق القمر ، فانها من اعظم المعجزات التي اوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم ، على اثر طلب كفار مكة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر كما في الصحيح ، فقال : انظروا قال عبد الله بن مسعود : رأيته فلقا وراء الجبل وفلقا دونه .

ولا نكتفى بهذا الدليل فان القرآن قد اثبت هذه المعجزة والقرآن كما علمتم حجه لا ترد ، فقد قال سبحانه وتعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » والمتعنتون الذين ينفونها يقولون : انشق القمر اى ينشق لما تفنى الدنيا على حد قوله تعالى « أتى أمر الله » أى يأتى أمر الله ، فقد وضع فيه الماضى موضع المضارع ، لكن هنا لا يصح هذا لانه تعالى قال اقتربت الساعة وانشق القمر ثم اعقبه بقوله « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فلو كان الامر يتعلق بنهاية الدنيا وانشقاقه حينما تقوم القيامة لما كانت هناك غائده في قوله : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فانهم لما رأوها قالوا : هذا سحر ، فهذا اثبات لانشقاق القمر بالقرآن وبالنص الذى لا يقبل الرد وكون القمر لم ير منشقا في جهات أخرى من العالم دليل غير مقبول ولا ينهض حجة ، لان خسوفه مثلا لا يرى حينما يقع في كثر من جهات العالم ، وكونه اذا وقع يمكن أن يختل نظام العالم لا نذكره هنا ، ولا نتعرض له ، وان كانت له اجوبة كثيرة لاننا نتكلم الان مع المليون ومع المومنين ، المومنون هم نحن ، والمليون هم اصحاب الكتاب الذين يثبتون لانبيائهم كثيرا من المعجزات من هذا القبيل ، وخالق القوى والقدر لا يعجزه أن يشق القمر وان يحفظ السماء والارض والكواكب بغير ما يحفظها به ، من هذه الجاذبية التى يقول بها العلم ومن بدرى انه شىء آخر غير الجاذبية لان ما هناك انه شىء استكشف أو اطلع عليه فيما يقال ويمكن ان يكون غيره « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن

زالتا ان امسكهما من احد من بعده « — وآيته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من غير ذلك في الاحاديث كحنين الجذع لما غارقه ، وكان يخطب اليه وكسلام الحجر عليه (اني لأعرف جحرا في مكة كان يسلم علي) وكسعي الاشجار له ، وكنبع الماء من بين اصابعه ، كلها تواردت بها الاحاديث الصحيحة حتى ان علماء صاروا يقارنون بين معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزات الانبياء السابقين ويرجحون هذه ، ومن ذلك قول القائل :

وكل معجزة للرسل ضد سلفت	وافي باعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى باعجب من	شكوى البعير ولا من نطق احجار
ولا انفجار معين الماء من حجر	كسلسيل غدا (1) من كفه جار

فان الحجر معتاد منه ان ينشق بالماء « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » ولا كذلك اصابع اليد . وقال الآخر :

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر
فان في الكف معنى ليس في الحجر

فالحقيقة ان معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام المادية كثيرة وهى شىء ثابت . لكننا نتجاوزها جحداً للغيبيات كنما غير مومنين ونعود لقوله صلى الله عليه وسلم « وانما كان الذى اوتيت وحياً اوحاه الله الي » لنبين كيف وقع الحصر هنا هذا الموقع ؟ فهو ليس نفياً للمعجزات الاخرى لأن الثابت لا ينفى ، واذن فما معناه ؟

هذا الكلام واقع اولا موقع ما يسمى في علم البديع بتعقيب المدح بما يشبه الذم . نمدح ثم نأتى بكلام ظاهره يوهم اننا سنأتى بزم ولكن في الواقع هو مدح ، وذلك كما في قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(1) اى سـال .

لا عيب فيهم أى فى هؤلاء القوم الذين يمدحهم الشاعر ، لكنه لما قال غير ، تشوفنا وظننا انه سيأتى بشيء يذمهم به أو شيء يخل بهذا المدح الذى مدحهم به ويثبت لهم بعض العيب بعد أن نفى عنهم العيب كله ، فحين قال : غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب علمنا أنه زاد هذا المدح تأكيداً لأن وصف سيوفهم بأنها مفلاة . أى مفرومة كما نقول بالعامية أى فيها ثلم وتهشم من كثرة القتال لأعدائهم ، ليس عيباً وإنما هو زيادة فى المدح ، ولا سيما عند العرب الذين يتمدحون بالشجاعة ، فهذا هو ما يسمى بتعقيب المدح بما يشبه الذم .

هنا أيضاً : ما من الأنبياء نبي إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله الي ، أى لكن ما أوحاه الله الي هو شيء أيضاً يؤيد المعجزات التى أوتيتها من قبيل المعجزات التى أوتيتها الأنبياء ، وأن كان الكلام فى القصر أولى ، فالقصر كما هو مقرر فى محله يكون قصراً إضافياً ويكون قصراً حقيقياً فالقصر الحقيقى هو الذى ينفي غير الصفات التى تثبت للشخص ، فإذا قلنا : وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله الي يكون نفياً لجميع الآيات الأخرى وهذا ليس بالمراد هنا ، والفصر الإضافى هو الذى يكون نفياً بالنسبة وبالإضافة والاعتبار أى أن هذا الذى أوحاه الله الي هو أعظم الآيات وأعظم المعجزات ، فكأنه هو المعجزة الحقيقية التى أوتيت وأن كانت المعجزات الأخرى التى أوتيت ليست فى طي العدم ، أو يكون على سبيل الادعاء فيكون حينئذ حقيقياً ، فهناك نوع من القصر يسمى القصر الحقيقى الادعائى بحيث نفى الطرف عن جميع الصفات وعن جميع الأشياء التى يأتى القصر بعدها وتدخل فى حيز النفى ادعاء وتأنى بالصفة الأخرى وذلك على سبيل المبالغة ، فهنا أيضاً لنقرر هذا نقول : أن تلك المعجزات الأخرى حيث أن دلالتها محدودة ومقتصورة على العصر الذى وقعت فيه وعلى المكان الذى وقعت فيه وعلى الأقوام الذين راوها ، فأنها لا تعد شيئاً بالنسبة للمعجزة الكبرى التى جاء بها صلى الله عليه وسلم ، وهى باتية ومستمرة على مدى العصور والأزمان ، فبكون القصر حينئذ حقيقياً ادعائياً باعتبار أن تلك الأشياء ليست لها هذه القوة . وباعتبار أنه قصر

اضافى فهو كذلك ايضا صحيح ويكون ذلك القصر فى محله ، وهو من العبارات التى اعتبر فيها وروعى فيها هذا المعنى البلاغى تنويهاً بالقرآن ونعظيها له . ورفعة لقدره وشأنه . ناهيك بأنه وحي من الله سبحانه وتعالى ، ناهيك بأنه كتاب الله ، ناهيك بأنه كلام الله تبارك وتعالى .

كتاب الله اعظم كل قيل رواه المصطفى عن جبرئيل
عن اللوح المحيط بكل شئ عن القلم الرفيع عن الجليل

واى كتاب يوصف بهذه الصفة واى آية يكون لها هذا النعت رواه المصطفى عن جبرئيل وجبرئيل رواه عن اللوح المحفوظ واللوحة المحفوظ رواه عن القلم الرفيع والقلم الرفيع عن الله سبحانه وتعالى باملائه ، هذا شئ عظيم جدا ، فلذلك حسن ان يقال « وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى » .

والوحى لا نحتاج ان نتكلم عليه لانه معروف عندنا ، ومعروف عند الاجاب ايضا ، فان التفسير الذى يفسره به المسيحيون لا يختلف عن التفسير الذى يفسره به نحن من الرؤيا الصادقة للنبي ومن الالتقاء فى روعه ومن مخاطبة الله سبحانه وتعالى . . . الى آخره ، كما فى مقدمة فهرس الكتاب المقدس .

لا يهمنى تفسير المسيحيين وانما ذكره على سبيل الاستيناس ، انما يهمنى ان الوحى هو القاء من الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خاص هنا بالكتاب العزيز ولا شك ، لانه جاء فى سياق الاعجاز ، والاعجاز انما كان بالقرآن ، لكن السنة هى ايضا وحى اليه صلى الله عليه وسلم منه سبحانه وتعالى لانها بيان للقرآن . قال الله تعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس » والنبيين هنا وان اسنده للنبي صلى الله عليه وسلم فهو من الله بدليل قوله فى الآية الاخرى « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » فالله سبحانه وتعالى الذى

سنة له . وقال في الآلة الاخرى الجامعة « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » لكن الفرق بينهما ان هذا كلام الله نزل بهذه الصفة وبهذا النعت لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم فيه لفظ ولا تعبير ولا غير ذلك وهو معجزة ومتحدى به ، والسنة ليست كذلك فقد فرق بينهما علماؤنا بهذا ، فالسنة وان كانت حجة أيضا للنبي صلى الله عليه وسلم ، لانها في طريق البيان تأتي بعد القرآن وهي المربنة الثانية في البلاغة وفي الاحكام والحكم والاسرار ومحاسن الدين والاخبار عن الامم الماضية والاخبار بالمفنيات وما الى ذلك مما احتواه القرآن ، هي أيضا سجل طافح بذلك ، ومن يقرأها وحدها بعلم بقبنا انها من الذين الله سبحانه ونعالى ، واذلك نقول مع القائل : وما شرب الايمان الا فؤاد من بأخبار خير الخلق قد ملأ الأذن

فمن اراد ان يزيد ايمانه ويقوى فليلازم كتب السنة واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه سينفرس الايمان في نفسه وسيشرب حبه في قلبه بقوة عجيبة ، على كل حال .

قوله عليه السلام « وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الي » المقصود به هنا الكتاب العزيز الذى به التحدى والذى هو المعجز والذى هو الآية العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم الدائمة المستمرة النى قال فيها الامام البوصرى رحمه الله :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيئين اذ جاءت ولم تدم هذا القرآن زيادة على كونه معجزاً ، له اعجاز آخر هو انه باق ومستمر لاجل ان تبقى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هي الخاتمة لا يتنى بعده رسول ، فهذا الانسجام وهذه الموافقة عظيمة جدا بل معجزة لان النبي صلى الله عليه وسلم ادعى انه خاتم الانبياء والمرسلين وهاهو ثبت هذه الختمية بحجة وبيقين وبدليل وبمعجزة ، هي القرآن . فالقرآن مايزال لحد الآن يثبت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وانه خاتم الانبياء والمرسلين ، وفعل لم يأت نبى بعده الا ما نعرف من الزيوف وما يزال الاجانب والاغراب عن

القرآن وعن اللغة العربية وعن الإسلام يؤمنون بسبب القرآن ،
فلو كانت الآيات الأخرى التي أعطيتها الأنبياء وأعطي منها النبي صلى
الله عليه وسلم أيضا ، هي وحدها التي أوتيها النبي صلى الله عليه
وسلم لوقع بعض لتوقف في كونه خاتم الأنبياء . لأن هذه الخنمية
لا بد أن تكون معها دلالة وحجة وبعبارة أخرى لا بد لها من المعجزة
التي تثبتنها وليس هناك من معجزة إلا القرآن ، والقرآن تحدى العرب
كما يعلم الجميع بفصاحته وبلاغته لأن العرب كانوا أهل فصاحة
وأهل بلاغة وقد عجزوا عن أن يعارضوه وعن أن يأتوا بمثله أو بعشر
سور مثله أو بأقصر سورة منه ، وذلك دليل على أنه لم يعرفوا له
نظيراً ، وهو فعلاً لا يعرف له نظير لحد الآن — فقد كتب الكتاب
ونظم الشعراء وألف المؤلفون بياناً وشعراً وحكمة وما إلى ذلك ،
وبقى أسلوب القرآن متميزاً عن جميع هذه الأشياء ، وقد أراد بعض
المنتطعين أن يعارض القرآن ، فلما قرأ قوله سبحانه وتعالى
« وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى
الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » ، هنا كل
وعجز وقال هذا لا يعارض ، وقال الأصمعي سمعت جارية سداسية
أو خماسية تقول :

استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله وانتصف الليل ولم أصله
فقال لها قاتلك الله ما أفصحك ، فغالت له : يا شيخ أتعد هذا فصاحة
بجانب قوله تعالى : « واوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت
عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني أنا رادوه إليك وجعلوه
من المرسلين » .

فجمع بين أمرين ونهيين وبشارتين في آية واحدة فانظر إلى هذا
الادراك الدقيق الذي أدركته هذه الفتاة ومعلوم أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرأ سورة النجم على كفار قريش لم يملكوا إلا أن
سجدوا عندما قال : « فاسجدوا لله واعبدوا » ولم يكونوا مومنين
وانما سحرتهم بلاغة القرآن وأعجازه والكلام في هذا يطول .

ولا يزال القرآن من ناحية البلاغة معجزا لحد اليوم ، والدليل على ذلك في نظرنا نسوقه باختصار وهو عجز الترجمة . اطلاقا في جميع اللغات عن ترجمة القرآن ترجمة لفظية كما هو ، وكلهم يكتبون ان القرآن لا يصلح ان يترجم واننا حينما نترجم معانيه نفقد معظم بلاغته ومعظم اعجازه ومعظم روعته . شهادته كهذه دليل على ان بلاغة القرآن تعجز حتى علماء هذا العصر الذي بلغت فيه اساليب الكلام واللغة والفلسفة والحكمة هذا المبلغ المشهود .

هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان من اعجاز القرآن بقاؤه كما هو واننا نستدل على بقاء القرآن ودوامه ، بأنه كلام الله ، وكلام الله صفة من صفاته ، واجب لها البقاء ، كما هو واجب لذاته سبحانه وتعالى ، فهذا سر من اسرار اعجاز القرآن ، ومن ثم قال بعض المستشرقين : لقد اصاب المسلمون ، في وصفهم القرآن بأنه كلام الله ، فانهم وضعوا بينه وبين التغيير والتحريف سورا من حديد ، وفعلوا هو كلام الله . فالمسلمون لم يقولوا ذلك من عند انفسهم . بل هو كلام الله . نحس بذلك احساسا لا يصح ان بوصف ولا بقدر ان نصف كيف هو كلام الله . لكنك حينما تأخذ المصحف . وتتلو منه ما تسئت . فانك ترى فيه هذه العظمة التي لا نهاية لها . والتي ليست هي الا عظمة كلام الله الذي لا يابسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا تقنى عجائبه ولا يحاط بمعانيه . ولا يلحقه تغير . ولا تحريف ، ونلمع الى أدلة اخرى على ان القرآن كلام الله :

اولا : نفس القرآن ليس نفسا بشريا ، حينما تقرؤه تجده يعبر عن الذات العلية وكل كلام يعبر عن صاحبه ، فأتنا في بعض الاحيان . نعرف صاحب الكلام من كلامه . ولكن القرآن حينما تقرؤه اول ما تجد فيه انه ليس كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . والجمال الالهي العظيم ، اللذين ليس لغير الله كائنا من كان شئ منهما ، « لن الملك اليوم لله الواحد القهار » هذا كلام عظيم لا يصح ان ينسب لنبي ولا لملك ، الا لله ، « ولو تقول علينا بعض

الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين » هذا كلام لا يصح أن ينسب للنبي (ص) بل هو كلام العزيز الجبار — هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الاله واحد ، وليذكر اولوا الالباب .

والكثير الذى لا نستحضره الآن مما يدل على ان نفس القرآن ، ليس نفسا بشريا ، بل هو نفس الالهى عظيم .

ثانيا : اسلوب القرآن ليس اسلوب السنة ، فان العلماء قالوا : ان اسلوب السنة ، هو الدرجة الثانية فى البلاغة ، وان كانت بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا لا يدرك ولكنها بالنسبة للقرآن لا مقارنة بينهما والقرآن ليس بشعر ، فلا تقول : ان اسلوبه شعر وليس بنثر ، فلا تقول : انه نثر ولا بسجع ، فلا تقول انه سجع ، وانما هو قرآن كما قال احد كبار ادباء العصر : انما هو القرآن ، لا يعبر عنه بشيء آخر الا بالقرآن ، ثالثا — القرآن زاد على ذلك شيئا آخر وهو فى نظرنا المعجزة الثانية بعد الفصاحة والبلاغة اعنى الناحية العلمية ، ففى القرآن لمحات علمية . غريبة جدا يستغرب من العلماء فى ذلك الوقت فأحرى من بلاد امية ، ليس فيها مدرسة ولا تعليم . ولا حتى كتاب واحد . فبأنى فيه « الم ير الذين كفروا ان السموات والارض ، كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حى » .

ونقرأ فيه « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ، ونقرأ فيه : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . ونقرأ فيه « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . الى غير ذلك من الآيات التى تتوافق والحقائق العلمية التى انما ثبتت الآن ولم تكن معروفة فى حين نزول القرآن . واذكر هنا أن اميرال احدى السفن الحربية لاحدى الدول العظمى ، كان يقود هذه السفينة فى بحر الشمال فى ليلة عاصفة مظلمة جدا . وكانت الامواج تتلاعب بهذه السفينة وهو فى حالة

شديدة من الاضطراب وعنده في مقصورته مكتبة صغيرة فمد يده فأخذ واحدا منها ، فكان القرآن العظيم ، فلما فتحه لم تقع عينه الا على قوله تعالى : « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكدر يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » فقال كيف يصف محمد البحر هذا الوصف الذي أعجز أنا ان اصفه في حالتي هذه ، وهو لم يركب البحر قط ؟ هذا ليس من كلام البشر ، فهذه الفاحية العلمية في القرآن ناحية عظيمة جدا ، وهى تعطينا دليلا آخر على انه من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا أقول ان الكتاب العزيز هو كتاب علم بالمعنى الحديث كما يعبرون عنه ، لا ليس هذا مقصودى بل المقصود ان الكتاب العزيز ليس فيه شيء يعارض ، ما ثبت في العلوم الحديثة وليس من شأنه ان يتعرض لهذا ، ولكن الكلام لا بد ان يأتى فيه لمحات تشير الى الاشياء والكون والخلقة ، فإشارات القرآن في هذا الباب توافق تمام الموافقة الحقائق العلمية الثابتة ، وهذا كاف . وان كان القرآن أتى بأعظم من هذا ، فان هذه العلوم وهذه الفنون فائدتها في تدبير أمور الحياة ، ولكن السعادة سعادة الدارين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، هى العلم الذى أتى به القرآن ، وهذا اعظم من كل شيء :

مراد كتاب الله جذب قلوبنا الى حضرة القدوس والزهو في الدنيا

رابعا — وثم ناحية أخرى أتى بها القرآن ، ولها أهمية عظيمة جدا في اثبات انه من عند الله ، وهى ان القرآن صحح اغلاط الكتب السابقة والاديان السماوية المحرفة ولهذا جاء ، فان الاديان يأتى بعضها عقب بعض لتصحيح ما وقع فيه بعض اتباع الاديان من الاغلاط ، والقرآن جاء لتصحيح الاغلاط التى وقعت فيها النصرانية واليهودية والاديان الكتابية قبلهما ، والغريب في ذلك انه أتى ببعض الجزئيات التى تغبر في وجوه الذين يقولون ان محمدا تلقى كتابه من بعض الاحبار والرهبان ، كيف وهو يصحح اخطاء ما يسمى بالتوراة والانجيل او بالعهد القديم والعهد الجديد ومن أين له ذلك ان لم يكن من عند الله ، مثلا قصة تبنى موسى عليه السلام الواردة في قوله

تعالى : « فألقه في اليم » الآية ، فهو في التوراة اى التبني منسوب الى ابنة فرعون ، وفي القرآن الى امرأة فرعون آسية وهذا هو المعقول ، وفي التوراة نسبة صنع العجل الى سيدنا هارون وحاشاه عليه السلام من ذلك وفي القرآن نسبته الى السامري وهذا هو الصحيح ، وفي القرآن تغليب النصارى في عقيدة التثليث وتسفيه آرائهم في ذلك ، وابطالها بما لا مزيد عليه من الادلة والحجج حتى صارت منتشرة في الدنيا ، وحتى صار النصارى أنفسهم يعتقدون بالثلاثة ويقولون هم بمثابة واحد ، وكان تأثير القرآن في هذا الصدد ان تفرقت الديانات المسيحية الى قسمين ، وقام المصلحون المشهورون بالبروتستانت بالاصلاح الذى ادخلوه على الديانة المسيحية تأثرا بما جاء به القرآن .

بعد هذا كله نرجع الى الفقرة الاخيرة من الحديث التى يقول فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهى ايضا معجزة عظيمة — فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة — فهذا الكلام مسبب ومرتب على ما قبله ، ومفاده لما كان ما أوتيته (ص) وحيا أوحاه الله اليه وهو قرآن خالد باق مستمر الى يوم القيامة فهو يرجو أن يكون من يتبعه من الناس ومن يؤمن به أكثر مما تبع كل رسول وكل نبى ، وهذا شيء غريب جدا يقوله النبى صلى الله عليه وسلم في المدينة أو في الحجاز ، لجماعة تعد ببضعة آلاف من الناس فيتحقق ذلك ويصير أمرا واقعا لا مزية فيه ولم يمر على الاسلام الا بضعة عقود من السنين ، فبعد أربعين سنة من الهجرة صار الاسلام منتشرا في الدنيا كلها تقريبا ، وبقي منتشرا الى الآن وهو الآن منتشر أكثر من كل دين واليك التعداد ، فان المسلمين كما تعلمون يتراوحون الآن بين ثمانمائة مليون أو مليار من الملايين وليس هناك من اتباع الاديان من يبلغ هذا العدد . النصارى أكثرهم ملحدون منهم من الحد بالشيوعية ومنهم من الحد بالتفكير الحر أو ما الى ذلك مما هو معروف ، فالنصارى الحقيقيون قلة ، الديانتان الكبيرتان بعد النصرانية هما : البوذية والبراهمية ، البوذية صارت شيوعية والبراهمة منقسمة على نفسها ومع ذلك فهى تصل الى خمسمائة أو ستمائة مليون فتط فالمسامون

أكثر وهذا إذا نظرنا الى الأمر من خارج ، أما إذا نظرنا اليه من داخل أى من المنظور الإسلامى فانتفا نقول : ليس من هذه الأديان دين صحيح ، فان المسيحية باطلة قطعاً ، وما انتشرت الا بعد أن بطأت فلما كانت مسيحية حقيقية كما أتى بها سيدنا عيسى كان اتباعها قلة ، لكن لما تسلط عليها قسطنطين وبدل فيها وغير واستغلاها وأدخلها الى أوروبا دخلت بالتغيير الذى حدث فيها وهو عقيدة التثليث وما الى ذلك ، فمن ذلك الوقت لم تكن مسيحية بالمنظور الإسلامى واليهودية لا نشك فى أنها ليست ديناً صحيحاً بالمنظور الإسلامى فانها لم تؤمن بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وبقية الأديان هي أديان وثنية . ويدلنا على ذلك القرآن العزيز ، فقد قال تعالى « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب » وفى اليوم الآخر يوم القيامة يتبرأ المتبعون وهم الانبياء عليهم الصلوات والسلام ، من هؤلاء الذين يتبعونهم — ويقول الذين اتبعوهم لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراوا منا » الآية ، وبخصوص سيدنا عيسى قال الله تعالى « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم » الآية بنص القرآن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر الأمم اتباعاً بدون شك ولا ريب ويصدق على هذا ايضاً قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » فالاسلام ظاهر والحمد لله على الدين كله ، ولا بأس بما يقع من المخالفات أو ما يقع من المسلمين من الذنوب ، فالذنوب الى الغفران كما هو معروف وفى الحديث : (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً) وهذا قدر عظيم زاد النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعد ذلك : (وحديث من حثيات ربي) ، والحديث جمع حثية والحثية هي الحفنة أى القبضة ، فقبضة من قبضات الله تعالى تشمل الجميع ، ناهيك فيما قال تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، وفى الصحيح

أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، قلنا : بلى يا رسول الله ،
قال : أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول
الله ، قال : فسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة
بيضاء في ثوب أسود أو شعرة سوداء في ثوب أبيض وهذا منتهى
الفضل جعلنا الله سبحانه وتعالى ممن يعظم هذا الفضل ولا حرمانا
الله تعالى من هذا العطاء الكريم ونرفع أكف الضراعة والابتهاال الى
الكبير المتعال بأن يديم جلالة مولانا أمير المؤمنين ويسبغ عليه نعمة
الصحة والعافية ويمده بالنصر والعز والتمكين والتأييد في هذه
المعركة العظيمة التي يقودها معركة الصحراء ، ويحرر الصحراء
وجميع الاجزاء المفتتحة من وطننا العزيز على يده وبذلك تتم الوحدة
الترابية للوطن ويوالى المغرب مسيرته الى النمو والازدهار بقيادة
جلالته ادام الله عزه ونصره واعلى امره واقر عينيه بالامير المحبوب
ولى العهد سيدى محمد وبصنوه الامير الواعد مولاى الرشيد وانزل
سحاب الرحمة والغفران على ضريح مولانا الامام بطل العروبة
والاسلام سيدى محمد الخامس وجزاه عنا افضل الجزاء ، جزاء
الملك المؤمن المحسن الصالح المصلح عن امته ، انه سبحانه وتعالى
على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو
اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ،
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » والختم من مولانا امير المؤمنين .